

لماذا لا أثق

بأقوال النحاة ولا اللغويين

للأب أنستاس ماري الكرملي

(تنمة ما نشر في العدد الماضي)

القسم الرابع

فعلول (المفعول الأول)

قال السيد مرتضى بعد مادة (ص ر ق) وقبل رسم (ص فر ق) — وهو غريب — ما يأتي ، ونحن نذكره بحذافيره على طوله لما فيه من الفائدة الجزيلة :

« الصمفوق ، بالفتح : اللثيم من الرجال . قاله الليث . وصمفوق : بلدة باليمامة ، فيها قناة يجري منها نهر كبير ، لم فيها وقعة ، ويقال : صمفوقة بالماء ، وليس في الكلام فعلول سواء . قال الحسين بن إبراهيم النظيرى في كتابه دستور اللغة : فعلول في لسان العرب مضموم ، إلا حرفاً واحداً ، وهو صمفوق ، لموضع في اليمامة .

وأما خرنوب بالفتح ، فضعيف . قال الصاغاني : وأما الفصيح فيضم خاؤه ، أو يشد راؤه مع حذف النون ، كما في العباب . وقال شيخنا : لا يفتح خرنوب ، إلا إذا كان مضمعاً ، وحذفت منه النون ، فليل خروب ، أما ما دامت فيه النون ، فإنه غير مسموع . قال : وأما برغوث الذي حكى فيه الخليل التثليث في الكتاب الذي ألفه فيه ، فلا يثبت ، ولا يلتفت إليه . وأما عصفور الذي حكى فيه الشيخ الشهاب القسطلاني عن ابن رشيق ، فهو أيضاً غير ثابت ، ولا موافق عليه . والله أعلم . هـ .

« قلت (أى الشارح) : وقال ابن بري : رأيت بخط أبي سهل المروري على حاشية كتاب : جاء على فعلول : صمفوق وصمقول ، لضرب من الكعكة ، وبمكوك الوادي ، لجانبه . قال ابن بري : أما بمكوك الوادي ، وبمكوك الشسر ، فذكرها السيرافي وغيره بالضم لا غير ، أعني بضم الباء . وأما الصمقول ، لضرب من الكعكة فليس بمعروف ، ولو كان معروفاً لذكره أبو حنيفة في كتاب النبات ، وأظنه نبطياً أو أعجمياً . هـ .

« قلت (أى الشارح) : ولا يلزم من عدم ذكر أبي حنيفة

إياه في كتابه أن لا يكون من كلام العرب ، فإن من حفظ حجة على من لم يحفظ . فتأمل ذلك . والصماققة جمع صموق : خول لبني مروان ، أزلهم اليمامة . ومروان بن أبي حفصة منهم ، قاله الليث . قال : ولم يجيء في الكلام فعلول إلا صمفوق وحرف آخر . ويقال لهم : بنو صمفوق ، وآل صمفوق . قال المعجاج : من آل صمفوق وأتباع آخر ، من طائفتين لا يتألون الفجر قال الأزهرى : ويضم صاده . ونصه : كل ما جاء على فعلول ، فهو مضموم الأول ، مثل : زنبور ، وبهلول ، وعمروس ، وما أشبه ذلك ، إلا حرفاً جاء نادراً ، وهو بنو صمفوق ، لخول باليمامة . وبعضهم يقول صمفوق ، بالضم . انتهى — وقال الصاغاني : صمفوق ممنوع من الصرف للمعجمة والمعرفة ، وهو وزن نادر ، سمو لأنهم سكنوا قرية باليمامة تسمى صمفوق ، كما تقدم . وقيل : الصماققة : قوم كان أبائهم عبيداً فاستعربوا . وقيل : هم قوم من بقايا الأمم الخالية ضلت أنسابهم . ويقال : مسكنهم بالحجاز . وقال الليث : الصماققة : القوم يشهدون السوق للتجارة بلا رأس مال عندهم ، ولا نقد عندهم ، فإذا اشترى التجار شيئاً ، دخلوا معهم فيه . ومنه حديث الشعبي : ما جاءك عن أصحاب محمد ، ودعى ما يقول هؤلاء الصماققة . أراد أن هؤلاء ليس عندهم قفه ولا علم بمنزلة أولئك التجار الذين ليس لهم رؤوس أموال . الواحد : صمفق وصمفق وصمفوق ، بالفتح . واقتصر الجوهري على الأولين ، والجمع صمافيق أيضاً . قال أبو النجم :

يوم قدرنا والعزير من قدر ، وآبت الخليل وقصين الوطر
من الصمافيق وأدركنا السير
أراد بالصمافيق أنهم ضعفاء ، ليست لهم شجاعة ، ولا سلاح ، ولا قوة على قتالنا « هـ آخر كلام التاج بنصه على فيه من الطول

رأى الألوسى في الصمافيق

وتزيد على ما تقدم ، أننا كنا سألنا في سنة ١٨٩٥ أستاذنا الكبير ، محمود شكري الألوسى ، عن هؤلاء القوم وأصلهم ، لأنه كان واقفاً أتم الوقوف على ما يتعلق بأخبار العرب وقدمائهم ، وما يتصل بهم . فقال لي : « إنهم يونانيون الأصل ، أتى بهم عبيد أسرى في صدر الإسلام ، ثم بيعوا ، فوضعوا في قرية من اليمامة عرفت باسمهم ؛ ثم أخذوا خولاً ، ومن اليمامة انبتوا

في سائر ديار العرب ، فاستعربوا ، فأسلموا ، فاندجوا بأهالي تلك
الربوع ، ولم يبق منهم باقٍ « انتهى .

رَأبْنَا الخَامِسُ بِنَا

وعليه فيكون هذا الاسم يوناني الأصل ، وهو بفتح الأول
ومنحوت من تولم saphês أى ظاهر وواضح وصاف ،
و Agareuô أى تكلم جهاراً فى مجلس أو نادٍ ، أو تكلم كلاماً
جهورياً ، لأن الحرف بتامه saphgeoros . وذلك بأن هؤلاء
القوم كانوا يتكلمون ببراعة ومهارة بين أيدي الناس ، ترغيباً
فى البضاعة والتجارة أو فى أى مهنة يزاولونها أو يتخذونها .
واليونانيون - حتى عوامهم معروفون بالتشدد . ولما كان هذا
الاسم يونانياً ، واشتهر بالفتح قبل أن تضبط قواعد اللغة ضبطاً
محكماً بالأقيسة والقواعد ، لم يكن قتل هذا اللفظ سهلاً ، فاشتهر
بين الناطقين بالضاد ، وفشا فشواً غربياً فى جميع طبقات الناس ،
ولما جاء أبواب القواعد ، لم تصادف لها مردداً طيباً فبقى اللفظ
على علته . ولهذا قد يقاس هذا الحرف أيضاً على القواعد الشائعة ،
ولا مانع من ذلك .

فلا جرم أن الفتح هو الأصح ، لقدمه فى اللغة ، ولتمكنه
فيها ولا سبيل إلى إنكاره ، لاستحكامه فى الأنفس وفى الدواوين
اللغوية والتاريخية منذ أقدم الأزمنة ، أى منذ نأناة الإسلام .
وأما ضبطه بالضم فيكون من باب إجراء أحكام القياس .
إذن يجوز الضبطان ويبقى الفتح هو الأعلى ، وأصح المثل
الأمثل الذى يقاس عليه ما يأتى من الحروف على نحوه .

ما جاء من الألفاظ على صفوق بالفتح

وأما أن هناك غير صفوق من الألفاظ فما لا شبهة فيه
ولا يمكن أن ينكر ، من ذلك : الصعقول ، وقد مر الكلام
عليها ، فعلى الحرف الثانى

والثالث : ترفوق

والرابع : طرخون

والخامس : برشوم ، لضرب من التمر أو النخل

والسادس : قربوس ، على لغة ذكرها التاج

والسابع : بمكوك وقد مر ذكرها

والثامن : كرموص

والتاسع : صندوق على لغة ذكرها الشارح

والعاشر كندوج

والحادى عشر : سنطور وهو من كلام المولدين

والثانى عشر : برغوث . على لغة وإن أنكرها بعضهم

والثالث عشر : خرئوب ، وإن أنكرها بعضهم ، وهى لغة

مشهورة

والرابع عشر : عمروس ، علم رجل . قال فى القاموس :

« وفتح من لحن المحدثين » ، ثم زاد الشارح : « وتحرّفهم

لغرابة بناء فعلول ، سوى صفوق ، وهو نادر ، قاله الصاغاني

١٥ - حمدون (القاموس واللغويون)

١٦ - سعدون (التاج)

١٧ - ذرنوق فى قولهم : الزرنوقان ، بالضم ، ويفتح

(القاموس) وزاد فى التاج بعد قوله : ويفتح « حكاة اللحياني

رواه عنه كراع . قال : ولا نظير له إلا بنو صفوق : خذل بالجماعة .

وقال ابن جنى : الزرنوق بفتح الزاى . فَعَمَنول ، وهو غريب .

ويقال الزرنوق بضمها « ا . هـ »

١٨ - خلدون ومنه ابن خلدون ، وجميع من ترجم له ضبطه

بفتح الأول ، ولم يضبطه أحد بضمه وهو أشهر من أن يذكر

١٩ - سمهوط . قال ياقوت : « بفتح أوله وسكون ثانيه ويقال

بالدال المهملة مكان الطاء : قرية كبيرة على شاطئ النيل بالصعيد ،

دون فرشوط . والله أعلم .

٢٠ - سحنون . كذا ضبطه جميع من ترجم لمن اشتهر

بهذا الاسم . من ذلك عبد السلام بن سعيد بن حميد التنوخى

الملقب بسحنون . ومحمد بن سحنون التنوخى

٢١ - عبدون . ومنه عبد المجيد بن عبدون . الفهرى ،

من أبناء المائة السادسة

٢٢ - عبدوس . ومنه محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عبدوس من

أبناء المائة الثالثة . وعبدوس بن زيد ، طيب من أبناء المائة الرابعة

٢٣ - دستور . جاء فى التاج فى مادة (دستر) . وفى

الأساس : الوزير : الدستور . قال شيخنا : وأصله الفتح ،

وإنما ضم لما عرب ، ليلحق بأرزان العرب ، فليس الفتح فيه خطأ

محضاً ، كما زعمه الحريرى ، وولت العامة فى إطلاقه على معنى

الإذن « ا . هـ »

٢٤ - عصفور . قال فى كشف الطرة ص ٢٣٣ : « عصفور

فى لغة حكاها ابن رشيق ، والمشهور فيه الضم « ا . هـ » .